الآداب والأخلاق الإسلامية من كتاب الشذرات الشذية على الدرر السنية للشيخ الطيب المصراقي

د. مصطفى فرج زايد/ الجامعة الأسمرية/ كلية الدعوة وأصول الدين

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد، فهذه مشاركة في المؤتمر الدولي الأول للهوية الدينية الليبية تحت شعار: (الهوية الدينية دعامة أساسية للوحدة الوطنية)، الذي تنظمه وتشرف عليه كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الأسمرية الإسلامية بالاشتراك مع رابطة علماء ليبيا الذي سيعقد في الفترة من 10 إلى 12 سبتمبر 2022 ميلادي، وكان عنوان هذه المشاركة: "الآداب والأخلاق الإسلامية من كتاب الشذرات الشذية على الدرر السنية، للشيخ الطيب المصراقي". يدخل العنوان ضمن المحور الثاني من محاور هذا المؤتمر والمتعلق بالمذهب في بلادنا وجهود الليبيين في الحفاظ عليه، الفقرة (ب): أعلام ليبيا من المالكية، وأشهر مؤلفاتهم الفقهية والأصولية في المذهب، قديما وحديثا، وأثر ذلك في الحركة العلمية تساؤلات الدراسة: إن أهم التساؤلات هو: ما أثر جهود الشيخ الطيب المصراقي في إثراء الحركة العلمية من خلال كتابه الشذرات الشذية؟ بالإضافة إلى تساؤلات أخرى سنجيب عنها لاحقا في نتائج هذا البحث.

أهدافها: الهدف من الدراسة هو إبراز جهود علماء بلادنا ومواقفهم في الحفاظ على الهوية الدينية الليبية، وأيضا التعرف على إسهامات علماء بلادنا في تأليف الكتب فيما يتعلق بالمذهب المالكي بالإضافة إلى الإجابة عن التساؤلات السابقة، التي سنقف على إجابة لها ضمن النتائج التي حققها من هذه الدراسة.

أهميتها: إن هذه الدراسة التي هي جزء من كتاب الشذرات الشذية للشيخ الطيب المصراقي، الذي تناول فيه عديد من الجوانب الفقهية والسلوكية والأخلاقية وفق المذهب المالكي، وسيكون الحديث عن الآداب والأخلاق والسلوك المهم في حياتنا الاجتماعية من أجل الحفاظ على الهوية في مجتمعنا، وهي تعد ركيزة مهمة لسالك المذهب المالكي سواء من جانبه الفقهي أو العقدي أو جانب الإحسان (التصوف)، فهذه الأمور الثلاث (الآداب والأخلاق والسلوك) لها أثر كبير في تغيير حياة المجتمع إذا ما أخذت بعين الاعتبار من

قبل المربّين وغرسها في أذهان النشء.

أما حدود الدراسة فسيتم الاقتصار على الآداب والأخلاق والسلوك التي ذكرها الشيخ الطيب المصراقي في كتابه الشذرات الشذية.

المنهج المتبع في هذه الدراسة: هو المنهج الاستقرائي حيث قمت بقراءة الآداب والأخلاق التي وردت في كتاب الشذرات الشذية وجمعها وترتيبها وفق عناوين واضحة للقارئ والمستفيد، وقت بالرجوع إلى المصادر والمراجع التي أشار إليها المؤلف لمزيد من التوثيق والفائدة؛ لأنّ الكتاب هو عبارة عن مخطوط مكتوب بالآلة الكاتبة، ولم يتم تحقيق هذا الجزء منه إلى الآن، بداية من الصفحة 165 إلى الصفحة 180، وقد قام الباحث فيما سبق بتحقيق ما يتعلق بكتاب الطهارة والصلاة من الكتاب، كما قام الدكتور علي معتوق شرف الدين بتحقيق ما يتعلق بأبواب الفقه الأخرى (الزكاة، الصوم، الحج الجهاد، النذور، الأيمان، أحكام الزواج والطلاق، البيوع)، والذي سيقوم به الباحث في هذه الدراسة هو عبارة عن دراسة الآداب والأخلاق المطلوبة شرعا وأثرها في المجتمع، وليس تحقيقا لهذا الجانب.

الدراسات السابقة: لا توجد دراسة لهذا الجانب من كتاب الشذرات الشذية فيما سبق على حدّ علمي، إلا ما استثنيت من دراسة الباحث ودراسة الدكتور شرف الدين. الخطة الدراسية:

أمّا عن خطة البحث فقد رسمت وفق ما يلي:

المقدمة: تشمل إشكالية البحث وأهدافه وأهميته والمنهج المتبع وحدود الدراسة والدراسات السابقة.

المبحث الأول: التعريف بالكتاب ومؤلفه.

المطلب الأول: كتاب الشذرات الشذية.

ذكر الشيخ المصراقي أنه فرغ صبيحة يوم الثلاثاء لعشرين خلت من شهر ربيع الآخر من عام ستة وتسعين وثلاثمائة وألف للهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية، والموافق لعشرين خلت من شهر إبريل من سنة ستّ وسبعين وتسعمائة وألف لمولد المسيح - عليه السلام -.

وقد حوى على كثير من المسائل الفقهية والآداب الإسلامية، وكتب بأسلوب سهل وواضح وبذلك يستفيد منه قارئه استفادة كبيرة، وقد توسّع الشّارح في توضيح بعض المسائل المهمة، التي تهّم عصره في تلك الفترة، لكي ينظر القارئ إليها بعين الاعتبار.

ومما زاد في قيمة كتاب الشذرات الشذية هو أخذه من مصادر ومراجع متنوعة، فهو يمتاز بكثرة النقول من كتب علماء المذهب المالكي، ومن أبرز الكتب التي اعتمد عليها: متن العزية للشيخ أبي الحسن علي الرسالة، وشرح عبد الباقي الزرقاني عليها، وحاشية العدوي على هذا الشرح، وشرح الزرقاني عليه مع حاشية العدوي، وأقرب المسالك، للدردير، وحاشية الصاوي المسماة ببلغة السالك لأقرب المسالك، وشرح مختصر خليل، المسمى بمواهب الجليل، للخطاب، وشرح المواق، على مختصر خليل المسمى بالتاج والإكليل، و متن الرسالة، لابن أبي زيد القيرواني، وشرح أبي الحسن علي الرسالة، وشرح النفراوي عليها، وشرح أحمد الصديق عليها، المسمى مسالك الدلالة على مسائل متن الرسالة، وشرح ميارة الصغير على متن ابن عاشر، المسمى بالدر الثمين والمورد المعين، على نظم المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، لابن ميارة، وحاشية على مختصر الدر الثمين، لابن حمدون، وتفسير القرطبي وتفسير الجلالين، وحاشية الصاوي عليه، وشرح الموطأ، لمحمد الزرقاني، والترغيب والترهيب من الحديث الشريف، لزيكي الدين عبد العظيم المنذري، وتعليقات مصطفى عمارة عليه، والتاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول، لمنصور علي ناصف، وفتاوى قرّة العين لإمام الحرمين، وكتاب المسائل العشر، المسمى بغية المقاصد في خلاصة المرصد، لمحمد بن علي السنوسي الخطابي الحسني الإدريسي، ومناسك محمد عابد، على مناسك والده حسين بن إبراهيم، ويليهما الرسالة المسماة بالقول الفصل في تأييد سنة السّدل على مذهب الإمام مالك بن أنس، وإحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي، و متن ابن عاشر، و متن الجوهرة للقاني، و متن الرحبية، و شرح السبط عليها، و تعليم المتعلم، بالإضافة إلى مصادر أخرى ذكرت أثناء الشرح، وقد ذكر هذه المصادر والمراجع الشيخ الطيب المصراقي - رحمه الله - عند بداية شرحه لنظم الدرر السنية للشيخ أحمد البهلول الطرابلسي في الفقه المالكي، ونظم البهلول يتكون من ثمانمائة بيت تتعلّق بأحكام الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والأيمان والندور والجهاد وأحكام الزواج والطلاق والمعاملات والمواريث، والتصوّف والأخلاق والآداب الإسلامية.

وقد سار الشيخ وفق منهجية محددة؛ حيث جمع أقوال العلماء ولم يقتصر فيه على أقوال علماء المالكية؛ بل تعرض فيه لذكر المذاهب الأخرى، وبشكل عام فإن هذا الكتاب يحوي قيمة علمية كبيرة.

وقد تتبع الشيخ الطيب نظم البهلول وشرحه وبين المقصود منه بأسلوب سهل قريب

التناول مع الاختصار غير المخل مراعيًا فيه الظروف الحاضرة حيث الرغبة في علوم الدين بصفة عامة والفقه بصفة خاصة فاختصر واقتصر على ما لا بد منه من الشروط والقيود، وأشار إلى أنه وضع كتابه ليكون بذلك مصنفًا يرجع إليه من أراد شيئًا من مسأله، وأنه أراد من شرحه أن يوضح الإشكاليات التي تنتج عن تفسير بعض الألفاظ الغامضة، لهذا ذكر في مقدمته ما يفيد ذلك عندما قال: (المهم في هذا التعليق هو تحليل ألفاظ المتن وبيان معاني ما جاء فيه بأسلوب بسيط ميسر مع عدم التعرض لما يتصل بالمتن من الجوانب الأخرى غير الجانب الفقهي من النحو والصرف وفقه اللغة وأحكام العروض وما إلى ذلك طلبًا للاختصار واقتصارًا على ما لا بد منه رعاية لمقتضى الحال)¹.

والشيخ ضمن منهجه المتبع هو تقديم اجتهادات المالكية، بداية من الإمام مالك رحمته الله وبقية علماء المذهب المالكي بعده.

المطلب الثاني: التعريف بالشيخ الطيب المصري - رحمه الله تعالى -.

قد يسأل سائل عن دورنا نحن عند فقد العلماء من أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - فننا من يفرط في الثناء والرثاء والحزن والتأسف على موتهم فقط، ومنا من يقول عند موتهم: قد ضاع الدين والدنيا بفقدهم، وهذا ليس صحيحًا، ولا يوفي حقهم ولا حق الأمة الإسلامية اتجاههم.

صحيح نحن نتألم عند فقد العلماء مخافة أن يعم الجهل والتشكيك واللبس بين الناس، وخاصة عندما يكون هذا العالم معروفًا لدينا؛ لمسنا علمه وعاصرناه واستفدنا من علمه.

إنه ينبغي علينا نحن أن نترحم عليهم أولًا وأن لا نبخس حقهم فيما قدموه، هذا أقل ما يقال في حقهم، يقول القاضي عياض - رحمه الله تعالى - (ما لكم تأخذون العلم عنا وتستفيدون منا، ثم تذكروننا فلا تترحمون علينا)².

إذن فينبغي علينا اليوم أن نرثيهم، ونجمع علومهم لكي يستفيد منها الآخرون، ونذكرهم بخير وفي هذا يقول السخاوي: (من ورّخ مؤمنًا فكأنما أحياه).

وكما نعلم أن سبب فقد العلم هو موت العلماء الذين رحلوا بخير ما عندهم، فإذا رحل

1- الصفحات الأولى من شرحه لنظم البهلول، حيث وضع مقدمة بين فيها منهجه والمصادر المعتمد عليها.

2 - يراجع: الألوكة، المجلس العلمي، دورنا عند موت العلماء، 2012/4/14 ميلادي.

العلماء واتخذ الناس رؤساء جهّالاً وسألوهم وأخذوا بفتواهم ضلّوا وأضلّوا.
والحقيقة أنّ الموت الحقيقي للعلماء عندما يموت من يخلفهم من طلابهم، وكما قيل:
(لا يزال الناس بخير ما بقي الأوّل حتى يتعلّم الآخر، فإذا هلك الأوّل قبل أن يتعلّم
الآخر هلك الناس))¹.

التعريف بالشيخ المصري - رحمه الله:-

هو الطيب بن عثمان المشهور بابن طاهر، يرجع نسبه للشيخ عبد السلام الأسمر بن
سليم، بن حميدة بن عمران بن محيا بن سليمان الفيتوري الذي يرجع نسبه لسيدى الحسين
بن علي بن أبي طالب وابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ².
ولد - رحمه الله تعالى - بقرية الطواهر بمدينة مصراته عام ستة وثلاثين وثلاثمائة
وألف هجرية والموافق لعام سبعة عشر وتسعمائة وألف ميلادية³.

نشأ الشيخ نشأةً صالحة؛ حيث تربي على حب العلم وطلبه وتحصيله، فعندما بلغ
سن السابعة من عمره أخذه أبوه إلى الكّتاب كعادة أهل بلاده لتعلم القرآن وحفظه،
فحفظ القرآن في زاوية البي على الشيخ المنتصر، ثم انتقل إلى زاوية عبد السلام الأسمر
بمدينة زليتن لدراسة العلوم الشرعية⁴.

كان الشيخ من الوعاظ البارزين؛ حيث عين مدرساً بزاوية المحجوب بمدينة مصراته،
ثم عين مدرساً بزاوية الأسمرى، ثم نقل إلى معهد أحمد باشا بطرابلس مدرساً، ثم عين
مديراً لإدارة المساجد بالبيضاء⁵.

شارك في الدروس الحسنية التي كانت تعقد برعاية الملك الحسن، وكان يحضرها
بنفسه كلّ رمضان اجتمع بعلماء من المغرب الأقصى منهم: الشيخ محمد الطنجي، والشيخ
قدور الورطاس، والشيخ محمد برادة، والشيخ محمد المعمرى، والشيخ مختار السويسي وغيرهم
كثير⁶، ثم سافر إلى تونس صحبة مجموعة من طلبة الجامعة الإسلامية، واجتمع بعدد من

1 تفسير البغوي: 327/4.

2 يراجع: فتح العلي الأكبر في تاريخ حياة سيدي عبد السلام الأسمر ص 249.

3 المرجع السابق.

4 ينظر: فتح العلي الأكبر ص 250.

5 المرجع السابق.

6 ينظر: فتح العلي الأكبر ص 256.

العلماء الأفاضل منهم : الشيخ مصطفى بن حميدة والشيخ الطاهر بن عاشور شيخ جامع الزيتونة سابقاً وصاحب التآليف المشهورة، والشيخ البشير النيفر وهو من مشاهير العلماء، والشيخ محمد الزغواني من كبار العلماء ذوي النقل والبحث، والشيخ الفاضل بن عاشور¹.

كما عين الشيخ خطيباً بمسجد أبي رقية بمدينة طرابلس، وبعد هذه الرحلة الطويلة من العطاء رجع إلى مدينة مصراته، ولازم التدريس بمسجد الطواهر قرب بيته، وكانت له دروس دائمة بمسجد الشيخ أحمد زروق كلّ جمعة².

إنّ أثر هذه المسيرة العلمية كان سببه تلقّيه العلم عن كثير من العلماء منهم بمدينة مصراته أمثال: الشيخ محمد بن عامر، والشيخ علي بن حسين المنتصر، والشيخ إبراهيم السني المنتصر المصراقي وغيرهم³، ومنهم بزواية الشيخ الأسمرى بزليتن مثل: الشيخ أحمد المبسوط، والشيخ رحومة الصاري والشيخ منصور أبو زبيدة، والشيخ عمران العلوص، والشيخ عبد السلام بن رحاب، والشيخ محمد بن رحاب، والشيخ عبد الله طليبة، والشيخ محمد قريو، والشيخ فرج عبد السلام حرير الفيتوري⁴ ومن مشايخه بمدينة طرابلس الشيخ عمر العربي الجنزوري، وبمدينة سرت الشيخ علي الزين المصراقي⁵.

ومن تدارس معهم أو كان جلوسه معهم ، فمنهم في مصراته : الشيخ رمضان أبو تركية، ورمضان بلبلو، وعبد الرحمن بن نصر، والسنوسي بن عبد العالي، وعبد الرحمن بن حقيق، وعبد الله الدلفاق وخليفة الهشي، ومحمد المغراوي، ومحمد مفتاح قريو، هؤلاء من تقدّموا وكانوا كبار السن وقت ذلك⁶ ومن المعاصرين له أيضاً في مصراته: مفتاح اللبيدي، ومصطفى التريكي، وكمال المنتصر، ومصطفى المجعي، وفي زليتن: علي الشويطر، وأحمد جوان، وأحمد الصاري، وأحمد الكيلاني، وطاهر أبي زبيدة وسليمان الزويبي، وعمر بن غويلة، ومحمد غريبي، وأحمد بن حامد، ومحمد بن محسن، وعبد الرحمن بن حكومة، ومنصور الشويرف، ومحمد المدني، ومحمد الشويرف، ومن قصر خيار حسين بن عبد الله،

1 المرجع السابق 255.

2 رواية الأستاذ محمد المحروق أحد تلاميذ الشيخ.

3 ينظر: فتح العلي الأكبر ص 253.

4 المرجع السابق.

5 نفسه.

6 تراجم ليبية دراسة في حياة آثار بعض الفقهاء والأعلام من ليبيا قديماً وحديثاً ص 234، لجمعة محمد الزريقي، وكتاب:

ومضات من تاريخ الفكر والثقافة في ليبيا ص 145، لمصطفى عبد الرحيم محمد أبو عجيبة.

ومحمد بن حسين بن عبد الله، ومحمد ابن حسين اشفلو، ومحمد بن رحاب، وفي بنغازي: محمد الصفراني، والشيخ الكوافي، وعبد الحميد الذيباني، ومحمد الحامي، ومحمد بن يعقوب ومنصور المحجوب، وفي طرابلس: علي سيالة، ومحمد سالم المفتي، وأبو الأسعد العالم المفتي ومحمد بن عليوة، وعمر التومي بالهندشير، وعلي مصطفى المصري، ومصطفى بعيو، وإبراهيم رفيده.

أمّا ما يتعلّق بتلاميذه، فمن درس عليه في زاوية الأسمريّ علي حسين القبيّ زقلام، ومحمد المحروق المصري، وسالم علي إدراه، ومفتاح اللافي شاذي، وعلي عبد السلام النعاس، والمهدي الشوماني، وعلي إجان، وأحمد قدور، وعبد الناصر مخلوف، وابنيه المهدي بن جابر، وعاشور أحمد المبسوط وبشير بن زاهية، وغيرهم كثير¹. وقد كان الشيخ -رحمه الله- كما أخبر عنه تلاميذه ذا ثقافة وبلاغة عالية متواضعا ومثلاً للفقهاء الواعين لعلوم الإسلام، مهتماً ببعض القضايا المطروحة في وقته، متابعا لكافة الأحداث على الساحة الدولية والمحلية².

تميّز بطلاقة لسانه، واسترسال كلامه، وقوة بيانه، من خلال موهبة الخطابة التي حباه الله بها فهو يستطيع ببراعته الفذة، أن يخاطب الجميع عامةً أو متخصصين في آن واحد، وبلغة بسيطة فصيحة وبأسلوب خطابي قل نظيره، وهنا تكمن موهبته وخصوصيته³. وكان متواضعا يظهر تعامله مع الناس العامة والخاصة، كثير التبسم في وجوه الناس، وكان يقبل الحوار والمناقشة من الجميع، يرجع في بعض آرائه إذا تبين له غير ذلك، وقد كان -رحمه الله- وفي الآونة الأخيرة بالذات من عمره كثير التأثر والبكاء في درسه، خصوصاً إذا ما سرد السيرة النبوية العطرة⁴.

كان أيضا لا يحابي العامة فيما ألفوه من سيئ العادات وقبيح البدع والمنكرات؛ فقد أخذ على عاتقه محاربة الظواهر الاجتماعية السيئة، سواء فيما يتعلق بالعادات، أو ما يتصل بالعقائد والعبادات فكان دائماً يحذرهم من انحرافات والأوهام، والبدع والمحدثات، وما يتعلق بالسلوكيات الاجتماعية المخالفة كالإسراف في الأفراح، وما يقع في المآثم من البدع

1 رواية الشيخ علي حسين القبيّ زقلام حفظه الله تعالى، أحد الطلاب الذين درسوا على الشيخ، وأحد المشايخ في مدينة زليتن.

2 رواية الشيخ محمد محمد المحروق أحد تلاميذ الشيخ.

3 ينظر: ومضات من تاريخ الفكر والثقافة في ليبيا 2/153-155.

4 المرجع السابق.

والمفكرات¹.

وكان - رحمه الله - وسطي الفكر، معتدل المنهج، لا ينجح إلى التشديد كما لا يروج للتميع والتساهل والحيل، وكان مالكي المذهب، غير متعصب، وقد يفتي في بعض المسائل بخلاف المذهب متى ترخّ لديه الدليل².

آثاره العلمية كثيرة، ولكنها بقيت في طيّ الغفلة والنسيان، ولم تظهر إلا على استحياء في بعض الرسائل العلمية وبعض المؤتمرات، منها: الإسلام عقيدة وسلوك، بستان الأدباء في الخطابة والإنشاء، تحفة الشباب في بيان الخطأ من الصواب، التربية الإسلامية، الحلل السندسية على المنظومة الفطيسية، حلية البصائر على عقيدة الأكبر دراسة عن السيد جمال الدين الأفغاني، الدروس التوحيدية للناشئة الإسلامية، ديوان شعر الرحلة البرقاوية، الرحلة الحجازية، الرحلة الطلابية إلى البلاد التونسية الرحلة إلى المغرب الأقصى، الروض العاطر في حياة أبي علي بن طاهر، كتاب فتح العلي الأكبر في تاريخ حياة عبد السلام الأسمر، مشاكلنا الاجتماعية وحلولها من هدي الرسول، النزهة الربيعية نظم أمّ البراهين، إضافة إلى مقالاته الكثيرة التي كان ينشرها في مجلة الهدي الإسلامي³.

وقد قال شيخنا الأستاذ مصطفى أبو عجيبة - رحمه الله - رئيس مكتبة أحمد زروق سابقاً: (والأكثر من هذا وذاك توفيق الله له للتخلي بمكرمة عظيمة، هي وصيته بتحييس مكتبته على مكتبة أحمد زروق، وقد أحضرها بعض أقربائه إلى مكتبة الزروق وكان ذلك في ليلة القدر عام 1419هـ⁴

توفي - رحمه الله تعالى - بمدينة مصراته، سنة - 1419هـ - 1998م، بعد رجوعه من موسم الحج، حيث مرض مرضاً أقعده عن الحركة حتى توفي⁵.

المبحث الثاني: الآداب والأخلاق الإسلامية من خلال كتاب الشذرات الشذية.

إنّ الإسلام دين يدعو إلى الآداب الكاملة والأخلاق الفاضلة، وليس مقصوداً على العبادات كما يتصور بعضهم؛ وإنما هو شامل لكل مناحي الحياة من عقائد وعبادات

1 ينظر: ومضات من تاريخ الفكر والثقافة في ليبيا 153/2-155.

2 المرجع السابق.

3 نفسه.

4 أشار في كتابه أنه الدكتور محمد محمد بن طاهر.

5 ينظر: ومضات من تاريخ الفكر والثقافة في ليبيا 153/2-155.

ومعاملات وسلوك وأخلاق؛ لأنه دين كامل يشمل جميع الحركات والسكنات، والإسلام أيضا دين يدعو إلى التمسك بكل هذه التعاليم السامية التي دعا لها، وينبذ التعلق بما تعود عليه بعضهم من عادات أخذوها عن غيرهم ونسبوها للإسلام ولا صلة له بها، وهذا يدل على جهلهم بالإسلام وتعاليمه¹.

المطلب الأول: آداب الأكل والشرب.

الأدب الأول:

يُسْنُ فِي حَقِّ الْمُسْلِمِ أَنْ يَسْمِيَ اللَّهَ، فيقول: بسم الله، أو يقول: بسم الله الرحمن الرحيم²، وقد طلب من المسلم ذلك حتى يبارك الله تعالى له في طعامه وشرابه، فيحصل له النفع ويصرف عنه الضر، ومن الضر كيد الشيطان ووساوسه؛ ولأن هذا الأمر فيه اقتداء بالرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- وهو أمر مطلوب من كل مسلم مستحب فعله، كما يستحب أن يجهر المسلم بالبسملة لكي يتأسي به من حوله ممن نسيها أو غفل عنها أو جهلها، فيتعلّمها الجاهل ويتذكرها الناسي، فيحصل الأجر والثواب للجميع.

وقد بين المؤلف أن المسلم إذا نسي البسملة أول شربه أو أكله يذكرها خلال ذلك؛ أي في أثناء تناوله للشراب أو الطعام، اقتداء بالنبي -صلى الله عليه وسلم- من حديث أمية بن مَخْشِيٍّ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَجُلًا يَأْكُلُ وَلَمْ يَسْمِ، فَلَمَّا كَانَ فِي آخِرِ لُقْمَةٍ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ أَوْلَهُ وَآخِرُهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا زَالَ الشَّيْطَانُ يَأْكُلُ مَعَهُ، فَلَمَّا سَمِيَ قَاءَ الشَّيْطَانُ مَا أَكَلَ»³.

الأدب الثاني:

حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب، فبين المؤلف أن من جملة الآداب أن يحمّد الأكل والشارب عند الانتهاء من ذلك، فعن أبي أمامة قال: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا شَبِعَ مِنَ الطَّعَامِ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، غَيْرِ مَكْفُورٍ وَلَا مُودَعٍ». وَقَالَ أَحْمَدُ: وَلَا مَكْفِيٍّ وَلَا مُسْتَعْنَى عَنْهُ⁴. وفي رواية: كان رسول الله -صلى الله

1 ينظر: كتاب: الشذرات الشذية، للطيب المصري، ص 165. مخطوط آله كاتبة.

2 ينظر: الشذرات الشذية، ص 165.

3 السنن الكبرى للنسائي، باب: ما يقول إذا نسي التسمية ثم ذكر، رقم: 10041، 114/9.

4 السنن الكبرى، للنسائي، باب: القول بعد الشبع، رقم: 6868، 309/6.

عليه وسلم- إذا رفعت المائدة قال: "الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه غير مكفي ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا"¹. ومن حديث أنس بن مالك، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فِيحَمَدُهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فِيحَمَدُهُ عَلَيْهَا"².

ثم بين الشيخ المصري أن من الآداب عند الأكل مع الجماعة وأراد أن يترك الأكل أن يكون نطقه بالحمد سرا لئلا يخجل غيره فيترك الأكل قبل أن يشبع³.

الأدب الثالث:

تناول الطعام والشراب باليد اليمنى، لفعل النبي -صلى الله عليه وسلم- ذلك وأمره به، قال -عليه الصلاة والسلام- "إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فليأكل بيمينه وإذا شرب فليشرب بيمينه فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ"⁴. ففي فعل ذلك اقتداء بالنبي -صلى الله عليه وسلم-، وفي حديث آخر ما يدل على نهى الأكل والشرب بالشمال وكذلك النهي عن الأخذ والإعطاء بها، ففي حديث القاسم ابن عبيد الله بن عبد الله بن عمر حدثه عن سالم عن أبيه أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "لَا يَأْكُلَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِشِمَالِهِ وَلَا يَشْرَبَنَّ بِهَا فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ وَيَشْرَبُ بِهَا"، قال وكان نافع يزيد فيها ولا يأخذ بها ولا يعطي بها⁵.

ومن آداب الطعام والشراب عدم تناوله وهو ساخن؛ لأن ذلك يضر بالفم والمعدة، ولا يتم تذوقه وهو ساخن، فمن الأدب أن يتركه حتى يبرد ثم يأكله⁶.

وقد كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يكره الكي، والطعام الحار، ويقول: "عليكم بالبارد فإنه ذو بركة ألا وإن الحار لا بركة له"⁷، ويقول: إنه آخر الدواء، فكأنه كان يكره البداية به.

1 أخرجه أبو داود، باب: ما يقول الرجل إذا طعم، رقم 3849، 393/2.

2 أخرجه مسلم، باب: استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب، رقم 4915، 273/13.

3 ينظر: كتاب: الشذرات الشذية، للطيب المصري، ص 166. مخطوط آله كاتبة.

4 أخرجه مسلم، باب: آداب الطعام والشراب وأحكامهما، رقم 3764، 295/10، من حديث أبي بكر بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر.

5 أخرجه مسلم، باب: آداب الطعام والشراب وأحكامهما، رقم 3765، 296/10.

6 ينظر: كتاب: الشذرات الشذية، للطيب المصري، ص 166. مخطوط آله كاتبة.

7 ينظر: التنوير شرح الجامع الصغير، محمد بن إسماعيل الكحلاني ثم الصنعاني، 621/8.

قال ابن القيم¹: (كراهته له لا تقتضي المنع عنه والثناء على تاركه في خبر السبعين ألفاً؛ إنما يدل على أن تركه أفضل وكان يكره أكل الطعام الحار ويقول عليكم بالبارد فإنه ذو بركة، ألا وإن الحار لا بركة له، لا زيادة في الخير ولا نمو ولا يستمرئ به الأكل ولا يلتذ)². وما رواه البيهقي من حديث أبي هريرة، قال الحافظ العراقي: بسند صحيح قال: أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - يوماً بطعام ساخن فقال: ما دخل بطني طعام ساخن منذ كذا وكذا قبل يوم³.

ثم بين المؤلف أن من آداب الأكل أن تاكل مما يليك إذا كنت مع غير أهلِكَ من زوجة وأولاد ونحوهم، وألا تترك يدك تتجول في الإناء هنا وهناك⁴. في الحديث عن وهب بن كيسان سمعه من عمر بن أبي سلمة قال: كُنْتُ فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ فَقَالَ لِي: "يَا غُلَامُ سَمِّ اللَّهَ وَكُلْ بِمِائِنِكَ وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ"⁵. علق الشيخ الطيب المصري على ذلك فقال: (ولا ينبغي أن تأكل من غير ما يليك؛ لأن ذلك ينسبك للشرة وقلة الأدب وهو مذموم)⁶. وقال: (وهذا القيد إذا كان الطعام صنفاً واحداً، أما إذا تعدد الطعام وكان ألواناً مختلفة فلا مانع من أن تأكل من عدة مواضع)⁷. وكذلك إذا أكل مع أهله الأولاد والزوجة فلا بأس إذا تجوّلت يده في الطعام، وقد ذكر الشيخ أحمد البهلول الطرابلسي⁸ في منظومته المسماة: (الدرر السنوية):

1 زاد المعاد (4/ 58).

2 أخرجه أبو نعيم في الحلية عن أنس (8/ 252)، وانظر الإصابة (1/ 332)، وقال الألباني في ضعيف الجامع (4606)، والضعيفة (1598): ضعيف جداً.

3 أخرجه ابن ماجة (4150)، والبيهقي في السنن (7/ 280).

4 ينظر: كتاب: الشذرات الشذية، للطيب المصري، ص 166. مخطوط آلة كاتبة.

5 أخرجه مسلم، باب: آداب الطعام والشراب وأحكامهما، رقم 3767، 298/10.

6 الشذرات الشذية، للطيب المصري، ص 166.

7 المرجع السابق.

8 هو أحمد بن حسين بن أحمد البهلول الطرابلسي المولد والنشأة، الغرياني الأصل. توفي - رحمه الله تعالى - بطرابلس ليلة

السبت الثاني من رجب من عام ثلاثة عشر ومائة وألف للهجرة الكريمة سنة 1113هـ، ودفن بمقبرة سيدي منيذر.

من مؤلفاته: منظومة في العقائد سماها درة العقائد، بعنوان (اختصار درة العقائد)، بمكتبة أبي القاسم محمد كرو

بتونس، منظومة فقهية في المذهب الحنفي سماها المعينة، منها نسخة بمركز جهاد الليبيين بطرابلس تحمل عنوان معينة

الصبيان، اختصار العزية نظماً في الفقه المالكي، وغيرها كثير. راجع تاريخ وفاته هدية العارفين 5/ 166، ومعجم

المؤلفين 1/ 125، والمنهل العذب، ص 288، ونفحات النسرین ص 138

... .. ثم كلا مما يليه إلا مع الأهل فلا¹

أما الأولاد في حق أبيهم فيجب عليهم التأدب في حضرة الوالد عند الأكل معه، ويلزمهم ألا يمدوا أيديهم إلى غير جهتهم².

وقد بين الشيخ الطيب المصري أن كون الطعام صنفا واحدا، أما إذا تعدد الطعام وكان ألوانا مختلفة فلا مانع من أن تأكل من عدة مواضع؛ ففي الحديث عن عكرّاش بن ذؤيب قال أتى النبي -صلى الله عليه وسلم- بجفنة³ كثيرة الثريد⁴ والودك⁵ فأقبلنا نأكل منها نخبط يدي في نواحيها فقال: "يا عكرّاش كل من موضع واحد فإنه طعام واحد". ثم أتينا بطبق فيه ألوان من الرطب فجالت يد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في الطبق وقال: "يا عكرّاش كل من حيث شئت فإنه غير لون واحد"⁶.

ومن آداب الطعام أن يقدم الطعام الطيب كاللبن والفاكهة، وقد جمع بعضهم ذلك في قوله:

قدم على الطعام توتا خوفا والتين والمشمش والبطيخا
وبعده الإجاص تمر ورطب ومثله الرمان أيضا والعنب
ومعه الخيار والجميز⁷ قثا⁸ وتفاح كذا الموز⁹

ثم ذكر الشيخ المصري -رحمه الله- أن من آداب الطعام أن لا يؤدب الطعام ولا يوصف بما لا يليق، اقتداء بهدي النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- كما في مسند أبي عوانة،

1 الشذرات الشذية، للطيب المصري، ص 166.

2 المرج السابق.

3 (بجفنة) في المنجد الجفنة القصعة الكبيرة.

4 يتكون من الخبز المفتت والمغموس في مرق اللحم.

5 الودك: دسم اللحم والشحم.

6 أخرجه ابن ماجه في سننه، باب: الأكل مما يليك، رقم 3399 و3274، 10/129.

7 أحد أنواع النباتات التي تتبع جنس التين من الفصيلة التوتية، شجرة الجميز دائمة الخضرة كبيرة الحجم، تتميز بأخشابها الصلبة والطويلة.

8 نبات ثماره تشبه الخيار، ولكنه أطول منه. وبعضهم يطلق على الخيار القثاء. مختار الصحاح.

9 الشذرات الشذية، للطيب المصري، ص 166. مخطوط آلة كاتبة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: مَا عَابَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - طَعَامًا قَطُّ، إِلَّا أَعْجَبُهُ أَكَلُهُ، وَإِنْ لَمْ يُعْجِبْهُ تَرَكَهُ¹.

ومن الآداب: مضغ الطعام جيّداً ليسهل هضمه على المعدة وأن يصغر اللقمة حتى لا تملأ فمه، فيكون منظره غير حسن².

ومن الآداب: أن يختم الأكل بالحلوى كالمربّجات من العسل والسكر وغيرها من أنواع الحلوى³.

ومن الآداب: أن يلتقط ما يسقط منه ولا يتركه⁴، وقد جاء في الحديث: عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذَا وَقَعَتْ لُقْمَةٌ أَحَدَكُمْ فَلْيَأْخُذْهَا فَلْيَمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَذَى وَلْيَأْكُلْهَا وَلَا يَدْعُهَا لِلشَّيْطَانِ وَلَا يَمْسَحَ يَدُهُ بِالْمُنْدِيلِ حَتَّى يَلْعَقَ أَصَابِعَهُ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ الْبِرَّةُ⁵.

ومن الآداب المطلوبة: أن يعجل في تناول العشاء ويبتكر أيضا بتناول طعام الغداء، وأن لا يدخل طعاما على طعام قبل أن يهضم الأول؛ لما يسببه من ارتباك المعدة، وهو بدوره يؤدي إلى المرض والتعب⁶.

ومن الآداب: تخليل الأسنان وإزالة ما علق بها من بقايا الطعام حتى لا يؤدي إلى تسوسها وإضعافها أو خروج رائحة كريهة من الفم بسبب الفضلات المتبقية؛ لذا يستحب المضمضة عقب الأكل والأفضل أن يستخدم السواك أو ما يتاح من وسائل تنظيف الأسنان، ويمنع أيضا بلع ما علق بين الأسنان إذا كان متغيرا عن حالة الطعام خوف المرض أو الضرر⁷.

ومن الآداب: أن لا يتنفس في الإناء الذي يشرب منه ولا ينفخ فيه؛ لأنه قد يسقط شيئا من ريقه في الإناء وهذا أمر مستقذر من الناس وغير حسن⁸.

1 مسند أبي عوانة، رقم: 8442، 213/5، أبو عوانة يعقوب بن إسحاق الإسفرائيني، المتوفى: 316 هـ، المحقق: أيمن بن عارف الدمشقي، دار المعرفة - بيروت، الطبعة: الأولى، 1998 م.

2 الشذرات الشذية، للطيب المصري، ص 167.

3 المرجع السابق.

4 نفسه.

5 أخرجه مسلم، باب: استحباب لعق الأصابع والقصعة، رقم 3793، 329/10.

6 الشذرات الشذية، للطيب المصري، ص 167. مخطوط آلة كاتبة.

7 ينظر: الشذرات الشذية، للطيب المصري، 169.

8 المرجع السابق.

ومن الآداب: أن يشرب جالسا وأن لا يكون في نفس واحد، وأن يغسل اليدين ولا سيمًا إذا كان بهما شيء من الوسخ، ووضع الطعام على السفرة الموضوعة على الأرض، وأن يجلس على ركبتيه، فيأكل وهو جالس على الأرض، وأن ينوي بأكله التقوي على الطاعة¹.

المطلب الثاني: آداب اللباس.

بين هنا حكم لبس الحرير، وبين أنه ليس من الأدب لبس الحرير للرجال البالغين، وأنه لا ينبغي لولي أمر الصبي أن يلبسه الحرير خوفا من أن يتعوده، وكذلك يحرم التختم بخاتم الذهب، ويكره التختم بخاتم الحديد أو النحاس ولو لامرأة².

ومن الآداب المطلوبة أن يلبس نعله في رجله اليمنى أولا ثم يلبس نعل رجله اليسرى؛ لأنه من باب الأمور الشريفة التي يجب فيها التيامن، كما أنه إذا أراد أن يخلع نعله، فليبدأ برجله اليسرى³.

المطلب الثالث: اللعب المحرم، وحكم التصوير.

ذكر الشيخ أنواع من اللعب المحرم، كالتي جعلت للهو والغش وحلف الأيمان الحائثة، والدعوة إلى البغضاء والشحناء والنزاع والخصام الذي يؤدي إلى العواقب الوخيمة في كثير من الأحيان لاسيما إذا كانت كلعب القمار والمراهنة، فبين الشيخ أنه من الأدب ترك اللعب بالمقامرة والنرد والمراهنة؛ لأنها محرمة ولا تجوز مطلقا⁴. وبين أن من الآداب الإسلامية المطلوبة ترك التصوير لكل ما له روح من الإنسان والحيوان⁵.

المطلب الرابع: السلام والتحية.

بين أن السلام وهو التحية التي شرعها الله بين عباده المؤمنين⁶، قال تعالى: ﴿وَأِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾⁷، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ

1 نفسه.

2 نفسه.

3 ينظر: الشذرات الشذية، للطيب المصري، 169.

4 المرجع السابق، 170.

5 نفسه.

6 نفسه.

7 من سورة النساء: 86.

لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُوْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَوْ لَا أَدْلُكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْسُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»¹.

ثم بين أن البداءة بالسلام سنة وأن رده واجب على المشهور في المذهب، والبدء بالسلام سنة عين على المنفرد وسنة كفاية على الجماعة، والرد فرض عين على المنفرد، وفرض كفاية على الجماعة بمعنى أن المنفرد لا بد أن يرد السلام وإلا أثم، وأن الجماعة إذا رد أحدهم كفى عن البقية، وإن تركوا جميعاً أثموا كلهم².

ومن الآداب أن يسلم الداخل إلى مكان على من كان فيه، وأن يسلم المار على الجالس والراكب على الماشي، والصغير على الكبير³.

ثم بين الشيخ أن هناك أقواماً لا ينبغي السلام عليهم زجراً لهم ولأمثالهم، وعدم الاهتمام بهم إعلاناً لحربهم، ومن هؤلاء أهل الأهواء، والمراد بهم المعتزلة والروافض والخوارج ومن على شاكلتهم، زاد الفقهاء عليهم أهل المعاصي والمخالفات كشارب الخمر فلا يسلم عليهم ما داموا كذلك⁴.

وكذلك لا يسلم على من كان مشغولاً بباطل كمن يلعب الورق أو غيره من أنواع اللهو واللعب، وكذلك لا يسلم على الجالسين معهم والمتفرجين عليهم؛ لأنهم شاركوهم في ذلك إشعاراً لهم بأنهم لا يستحقون التكريم والتسليم والتحية والأمان ما داموا مقيمين على لهوهم ولعبهم، فترك تحيتهم ولا نسلم عليهم حتى ينزجروا هم وغيرهم⁵.

ثم ذكر النهي عن بدء أهل الكفر بالسلام، وأن الرد عليهم إذا سلّموا بلفظ: عليكم، بغير واو وبين أن السلام على الكفار مكروه كراهة تحريم، وأن الكفار هم أولى بعدم الرد عليهم أو السلام عليهم وكذلك أهل المعاصي المصرون عليها؛ لأن في السلام عليهم اهتمام بهم وتحية وتعظيم وتكريم وهم ليسوا من أهل ذلك كله⁶، عن أبي هريرة - رضي الله عنه -

1 أخرجه ابن ماجه، باب: في الأيمان، رقم: 71،

2 ينظر: الشذرات الشذية، للطيب المصري، 170.

3 المرجع السابق.

4 ينظر: الشذرات الشذية، للطيب المصري، 170.

5 المرجع السابق.

6 ينظر: الأقوال الفقهية في كتب الفقه المالكي منها: حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، باب: الجهاد، 174/2 شرح

مختصر خليل للخرشي، أحكام الجهاد، 110/3.

: «لا تبدأوا اليهود ولا النصارى بالسلام»¹

قال النووي: (اختلف العلماء في ردّ السلام على الكفار وابتدائهم به، فذهبنا² تحريم ابتدائهم به ووجوب ردّه عليهم بأن يقول وعليكم أو عليكم فقط، ودليلنا في الابتداء قوله -صلى الله عليه وسلم- "لا تبدأوا اليهود ولا النصارى بالسلام"، وفي الردّ قوله -صلى الله عليه وسلم- "فقولوا وعليكم" وبهذا الذي ذكرناه عن مذهبنا قال أكثر العلماء وعامة السلف، وذهبت طائفة إلى جواز ابتدائنا لهم بالسلام، روي ذلك عن ابن عباس، الصواب تحريم ابتدائهم، وحكى القاضي عن جماعة أنه يجوز ابتدائهم به للضرورة والحاجة أو سبب، وهو قول علقمة والنخعي، وعن الأوزاعي أنه قال: إن سلّمت فقد سلّم الصالحون وإن تركت فقد ترك الصالحون، وقالت طائفة من العلماء: لا يرّد عليهم السلام ورواه ابن وهب وأشهب عن مالك، ويجوز الابتداء بالسلام على جمع فيهم مسلمون وكفّار أو مسلم وكفّار، ويقصد المسلمين للحديث السابق أنّه -صلى الله عليه وسلم- سلّم على مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين، وقوله -صلى الله عليه وسلم-: يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كلّ، وهذا من عظيم خلقه -صلى الله عليه وسلم- وكمال حلمه، وفيه حثّ على الرفق والصبر والحلم وملاطفة الناس ما لم تدع حاجة إلى المخاشنة... والله أعلم)³.

ثم بين أنّه يكره السلام على المصلّي في حال صلاته، ومن يقضي الحاجة الإنسانية، ومن كان في حالة جماع لزوجته، والمؤذّن حال الأذان، والمقيم للصلاة، وعلى الشابة من النساء خوف الافتتان بكلامها والاستماع إليها ومكالمتها، وأما إذا كانت متجالّة ومأمونة الفتنة فيسلّم عليها⁴.

ولا يسلم على مشغول بجمرك؛ ولا على مجنون، وفاقد عقله، ولا على صبي لا يفقه المعاني ولا يفهم السلام وردّه، أمّا إذا كان يفهم فيسلّم عليه ليعلم الأدب والأخلاق الطيبة⁵.

1 أخرجه مسلم في كتاب: السلام، باب: النبي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم، رقم: (5626).

2 أي مذهب النووي، وهو مذهب الشافعية.

3 ينظر شرح النووي على مسلم، باب: النبي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام، 14/145.

4 ينظر: الشذرات الشذية، للطيب المصري، 171.

5 المرجع السابق.

وقد نظمها الشيخ أحمد البهلول بقوله:

ردّ السلام واجب إلّا على	من بصلاة أو بأكل شغلا
أو شرب أو قراءة أو أدعية	أو ذكّر أو في خطبة أو تلبية
أو في قضاء حاجة الإنسان	أو في إقامة أو الأذان
أو سلم الطفل أو السكران	أو شابة يخشى بها افتتان
أو فاسق أو ناعس أو نائم	أو حالة الجماع أو تحاكم
أو كان في الحمام أو مجنونا	فواحد من بعده عشرون ¹

المطلب الخامس: الاستئذان.

من الآداب الإسلامية المطلوبة الاستئذان، قال الشيخ الطيب المصري: (الاستئذان هو طلب الإذن للدخول في البيوت ونحوها، وهو من الآداب الإسلامية التي شرعت لحفظ الأعراض وصون كرامة الآخرين وعدم الاطلاع على العورات)².

بين أنّ حكم الاستئذان واجب واستدلّ بقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾³، ويدخل ضمن هذه الآداب الاستئذان في بيوت المحارم وغيرها، وسواء المحارم: الأمّ أو الخالة أو البنت أو من غيرهن، وسواء كان من الرجال أو النساء، واستثنى من ذلك الزوجة والأمة فليس الاستئذان واجب في حقهما وإن كان مطلوباً وحسناً، وأنّ الاستئذان في البيوت السكنية سواء كانت مفتوحة أو مغلقة، وأنّه يلحق بها توابعها ومرافقها وبساتينها التي تكون خارجها⁴.

أمّا ما يتعلق بالأماكن العامة فلا يجب فيها الاستئذان، كالفنادق والحمامات والمتاجر والمصانع ودور القضاء والنيابة والشرطة، ومما هو مفتوح للخاص والعام...

ثم ذكر صفة الاستئذان بقوله: (بأن يقدم السلام أولاً، فيقول: السلام عليكم، ثم يقول: أأدخل ثلاث مرات، فالأولى لإسماع أهل المحلّ، والثانية ليصلحوا من شؤونهم

1 نفسه.

2 نفسه، ص 173.

3 من سورة النور: 27.

4 ينظر: الشذرات الشذية، للطيب المصري، ص 173.

ويستروا ما لا ينبغي النظر إليه، والثالثة للإذن في الدخول، فإن أذن له دخل وإلا رجع، ولا يزيد إذا تبين له أنهم لم يسمعوا ذلك وهي السنة¹، ففي الحديث الشريف عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: كُنْتُ جَالِسًا بِالْمَدِينَةِ فِي مَجْلِسِ الْأَنْصَارِ فَأَتَانَا أَبُو مُوسَى فَرَعًا أَوْ مَذْعُورًا، قُلْنَا: مَا شَأْنُكَ، قَالَ: إِنَّ عُمَرَ أَرْسَلَ إِلَيَّ أَنْ أَتِيَهُ، فَأَتَيْتُ بَابَهُ فَسَلَّمْتُ ثَلَاثًا فَلَمْ يَرِدْ عَلَيَّ، فَرَجَعْتُ، فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَنَا، فَقُلْتُ: إِنِّي أَتَيْتُكَ فَسَلَّمْتُ عَلَيَّ بِأَبْكَ ثَلَاثًا فَلَمْ يَرِدُوا عَلَيَّ فَرَجَعْتُ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذَا اسْتَأْذَنَ أَحَدُكُمْ ثَلَاثًا فَلَمْ يُؤْذَنَ لَهُ فَلْيَرْجِعْ، فَقَالَ عُمَرُ: أَقِمَّ عَلَيْهِ الْبَيْتَةَ وَالْأُجْعَتَكَ، فَقَالَ أَبِي بِنِ كَعْبٍ لَا يَقُومُ مَعَهُ إِلَّا أَصْغَرُ الْقَوْمِ، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: قُلْتُ أَنَا أَصْغَرُ الْقَوْمِ، قَالَ فَادْهَبْ بِهِ، فَقَمْتُ مَعَهُ فَذَهَبْتُ إِلَى عُمَرَ فَشَهِدْتُ². وفي حديث آخر³ عن ربي بن حراش، قال: نا رجل، من بني عامر، أنه استأذن على النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهو في بيته فقال: أألج؟ فقال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لخادمه: "أخرج إلى هذا فعله الاستئذان، وقل له: قل: السلام عليكم أدخل؟" فسمعه الرجل فقال: السلام عليكم، أدخل؟ فأذن له النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فدخل، فقال: بما جئنا يا محمد؟ قال: «جئنا بالخير، أن تعبدوا الله، وتدعوا عبادة اللات والعزى، وأن تصلوا في الليل والنهار خمس صلوات، وأن تصوموا من السنة شهراً، وأن تأخذوا من أموال أغنيائكم فتردوها على فقرائكم» فقال الرجل: ما بقي من العلم شيء لا تعلمه، فقال: "لقد علم الله خيراً، وإن من العلم ما لا يعلمه إلا الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾⁴، فالشاهد من ذلك كيف علم النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صفة الاستئذان لذلك الأعرابي.

ومن الآداب المطلوبة فيما يتعلق بالاستئذان مما ذكره الشيخ الطيب المصري في تعليقه على نظم أحمد البهلول الطرابلسي، أن تُعرّف باسمك إذا قيل: من الطارق؟، فإذا قال لك صاحب البيت من ذا الذي يطلب الدخول؟ أن لا تقول أنا، وإنما الأدب في ذلك أن تجيب باسمك المعلوم أو كنيته أو لقبك، بحيث تكون مفهوماً عند صاحب

1 المرجع السابق.

2 أخرجه مسلم، باب: الاستئذان، رقم 4006، 103/10.

3 أخرجه ابن أبي شيبة في مسنده، رقم: 936، 411/2.

4 من سورة لقمان: 34.

البيت، فتقول: فلان بن فلان، وهذا هو السنة¹، ففي الحديث الشريف عن جابر، قَالَ: اسْتَأْذَنْتُ عَلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي دِينٍ كَانَ عَلَى أَبِي، فَقَالَ: «مَنْ هَذَا؟» فَقُلْتُ: أَنَا، فَقَالَ: «أَنَا أَنَا» كَأَنَّهُ كَرِهَ ذَلِكَ².

ثم نبه الشيخ المصري على بعض التنبيهات المتعلقة بالاستئذان، منها:

1- إن الاستئذان المذكور يطلب من غير العبيد³ والصبيان في كل وقت. أما العبيد والصبيان فإنه يطلب منهم في ثلاثة أوقات، ذكرت في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَ اسْتَأْذَانُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ هُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ⁴، فبينت الآية هذه الأوقات الثلاثة، في الصباح عند الانتباه من النوم وإصلاح الملابس وتنظيم العمل، وعند القيلولة والراحة وسط النهار، وعند الاستعداد للنوم بالليل بعد صلاة العشاء⁵.

2- يقوم مقام قولك: أَدْخُلْ، التَّنْحِيحُ وَنَقْرُ الْبَابِ وَدَقُّهُ. ويقوم مقام قول صاحب البيت: ادْخُلْ، أو تَفْضُلْ، إِذْنُ امْرَأَتِهِ أَوْ غَلَامِهِ، إِذَا كَانَ مُمِيزًا، لِحَرِيانِ الْعَادَةِ بِذَلِكَ وَضُرُورَاتِ النَّاسِ فِي هَذَا الشَّأْنِ⁶.

3- من آداب المستأذن أن لا يقابل الباب بوجهه؛ وإنما يقف جهة اليمين أو جهة اليسار؛ لثلاث أسباب على ما لا ينبغي الإطلاع عليه⁷، فعن عبد الله بن بسر -رضي الله عنه- قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذَا أَتَى بَابَ قَوْمٍ لَمْ يَسْتَقْبِلِ الْبَابَ مِنْ تَلْقَاءِ وَجْهِهِ، وَلَكِنْ مِنْ رُكْنِهِ الْأَيْمَنِ أَوْ الْأَيْسَرِ. ثُمَّ يَقُولُ: "السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، وَذَلِكَ أَنَّ الدَّوْرِيَوْمِئِذٍ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا سِتُورٌ"⁸.

4- من الآداب المطلوبة أيضا أن لا يطالع على بيوت غيره، من نحو: شَبَّكَ أَوْ ثَقُوبَ بَابٍ،

1 ينظر: الشذرات الشذية، للطيب المصري، ص 174.

2 أخرجه الترمذي، باب: ما جاء في التسليم قبل الاستئذان، رقم 2711، 65/5. وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

3 أي: المملوك، الرقيق، وهو غير موجود اليوم.

4 من سورة النور: 58.

5 ينظر: الشذرات الشذية، للطيب المصري، ص 174.

6 ينظر: الشذرات الشذية، للطيب المصري، ص 174.

7 المرجع السابق.

8 أخرجه أبو داود، باب: كم مرة يسلم الرجل في الاستئذان، رقم 5186، 348/4.

أو ثغرة أو مرتفع أو شجرة أو غير ذلك¹، فلا يجوز الاطلاع على عورات الناس وانتهاك حرمتهم والتعدي على كرامتهم، ففي الحديث الشريف وعيد شديد وتحذير ممن يقع منه ذلك، فعن سهل بن سعد الأنصاري أن رجلاً أطلع من حجر في باب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مدرى رجل به رأسه فقال له رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : لو أعلم أنك تنظر طعنت به في عينك؛ إنما جعل الله الأذن من أجل البصر²، وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "من أطلع في بيت قوم بغير إذنيهم فقد حل لهم أن يفتقوا عينه"³، وعنه أيضاً أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "لو أن رجلاً أطلع عليك بغير إذن خذفته بحصاة ففقت عينه ما كان عليك من جناح"⁴.

المطلب السادس: المصاحفة، والمعانقة.

بين الشيخ -رحمه الله تعالى- في هذا المبحث الآداب المتعلقة بالمصاحفة، وأن المصاحفة جائزة وهي وضع الكف على الكف عند اللقاء، والمشهور أنها مندوبة ومرغب فيها، وأنه ينبغي أن يترك المتصالحان كفيهما ولا يسرعا باختطافهما؛ لأنه أبلغ في المودة والحب⁵، ففي الموطأ عن مالك، عن عطاء بن أبي مسلم عبد الله الخراساني قال: قال رسول الله ؟: "تصاحفوا يذهب الغل، وتهادوا تحابوا وتذهب الشحناء"⁶، وعن ابن مسعود يقول علمي النبي -صلى الله عليه وسلم- التشهد وكفي بين كفيه. وقال كعب بن مالك: «دخلت المسجد، فإذا برسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقام إلي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صاحني وهنأني»⁷، وعن البراء بن عازب -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- «ما من مسلمين يلتقيان فيتصاحفان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا»⁸.

ثم بين الشيخ الفرق بين المصاحفة المشروعة وغير المشروعة: فالمصاحفة المشروعة، وهي مصاحفة الرجل لثله، والمرأة لثله، أما غير المشروعة، وهي مصاحفة الرجل لامرأة

1 ينظر: الشذرات الشذية، للطيب المصري، ص 174.

2 أخرجه مسلم، باب: تحريم النظر في بيت غيره، 4041، 11/113.

3 أخرجه مسلم، باب: تحريم النظر في بيت غيره، 4016، 11/115.

4 أخرجه مسلم، باب: تحريم النظر في بيت غيره، 4017، 11/116.

5 ينظر: الشذرات الشذية، للطيب المصري، ص 175.

6 أخرجه مالك في الموطأ، باب: ما جاء في المهاجرة، 2663، 2/368.

7 أخرجه البخاري، باب: في التشهد، رقم 5910، 8/59.

8 أخرجه أبو داود، باب: في المصاحفة، رقم 5212، 4/354.

أجنبية¹، ولو متجالاة، وكذلك مصافحة المرأة لرجل أجنبي²، ولو كبير سن³.

قال الشيخ الطيب المصراقي - رحمه الله - : (وهذه مصيبة عمّت بها البلوى الآن بين الناس؛ حيث يصافح الرجال النساء الأجنبية⁴ والعكس أيضا ولا يرون في ذلك بأسا، ولا ترى منهم من يمتنع من ذلك أو يجعل ساترا كمنديل ونحوه، وتكاد تكون من ضرورات الحياة اليوم⁵، لا سيما بين الأقارب والجيران كامرأة الأخ وابنة العمّ والعمّة وابنة الخال والخالة، وامرأة الصديق ونحوهم، وهذا في الشابات وصغار السنّ والعجائز وكبيرات السنّ كذلك، ولا فرق في الأمر بين عجائز وشيوخ وفتيان وفتيات)⁶.

ثم أشار إلى بعض المنكرات في المصافحة عند بعض القبائل البدوية؛ حيث تتمّ المصافحة مع التقبيل للأيدي وهي قريبة من الأفواه، بين الرجال والنساء، وخاصة في المناسبات كالأعياد وعند الرجوع من الأسفار، ولا تجد من العلماء من ينكر ذلك مع أنّ عواقبه سيئة⁷.

ثم بين أنّه لا تجوز مصافحة أهل البدع ك (الخوارج، والمعتزلة)، ولا الكافر ك (اليهودي والنصراني، والمجوسي)؛ وذلك للأمر بهجرهم ومجانبتهم، والمصافحة عنوان المحبة والمودة.

وبين الشيخ أنّ المعانقة وهي وضع العنق عند اللقاء مكروهة، ولا ينبغي فعلها، وهو ما ارتضاه الإمام مالك - رحمه الله -، ولم يكن عمل أهل المدينة؛ وإنما يكره مالك المعانقة؛ لأنّه لم يرد عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنّه فعلها إلاّ مع جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنه - ولم يصحبها العمل من الصحابة بعده؛ ولأنّ النفوس تنفر عنها؛ ولأنّها لا تكون إلاّ لوداع⁸.

وقد اختلف الناس في المعانقة، فكرهها مالك، في المشهور عنه⁹، وأجازها غيره، بل هو في رسالته لهارون أن يعانق قريبه حين يقدم من سفره، لكن قال الشيخ أبو محمد:

1 أي: ليست من المحارم، كالأم والبنت والأخت والعمّة والخالة...

2 أي: ليس من المحارم، كالأب والابن والأخ والعم والخال...

3 الشذرات الشذية، للطيب المصراقي، ص 174 و 175.

4 غير المحارم.

5 يقصد الشيخ هذه المصيبة أيام الثمانينات والتسعينات. أما اليوم فالمصيبة أدهى وأمر وخاصة في ظل التطور التكنولوجي اليوم.

6 الشذرات الشذية، للطيب المصراقي، 175.

7 الشذرات الشذية، للطيب المصراقي، 175.

8 ينظر: الشذرات الشذية، للطيب المصراقي، 175.

9 الذخيرة" 13 / 297.

وقيل: لم تثبت هذه الرسالة لمالك¹، وفي "المعونة": كره المعانقة؛ لأنها لم ترد عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا عن السلف، مع أنها من أخلاق العامة، إلا أن يكون ذلك من طول اشتياق، وقدم من غيبة أو مع الأهل وشبه ذلك².

وعن عائشة - رضي الله عنها -، قالت: «قدم زيد بن حارثة المدينة ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - في بيتي فأتاه ففرع الباب، فقام إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عزيانا يجر ثوبه والله ما رأيته عزيانا قبله ولا بعده، فاعتنقه وقبله»³.

قال الشيخ المصري: (والمعانقة مطلوبة عند القدوم من السفر، كما فعل النبي - صلى الله عليه وسلم - مع جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنه -)⁴، وعن رجل، من عنزة، أنه قال لأبي ذر حين سير من الشام، قال: إني أريد أن أسألك عن حديث من حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: إذن أخبرك به إلا أن يكون سرا. فقلت: إنه ليس بسرا، هل كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصاحفكم إذا لقيتموه؟ فقال: «ما لقيته قط إلا صاحفني، وبعث إلي يوما ولست في البيت، فلما جئت أخبرت برسوله فأتيته وهو على سرير له، فالتزمني، فكانت أجود وأجود»⁵.

ثم بين الشيخ أنه لا يندب للمرء أن يقبل يد غيره؛ بل هو مكروه، ولو كان ذلك لقادم أو غلام صغير السن، واستثنى بعضهم من ترجى بركته ك (الوالد، والشيخ ونحوهما)، وأن حكم غير اليد من الأعضاء والرأس والكتف والقدم حكم اليد نهيا وطلبا⁶.

المطلب السابع: تشميت العاطس.

بين أن من الآداب الإسلامية والأخلاق الطيبة المرغّب فيها شرعا تشميت العاطس، وهو قول السامع لمن عطس وحمد الله تعالى: (برحمك الله)، وأنه واجب على من سمع ذلك، وهل التشميت واجب وجوبا عينيا أو كفايا؟. فالمشهور أنه واجب

1 المصدر السابق 13 / 299.

2 "المعونة" 2 / 575، وينظر: التوضيح شرح الجامع الصحيح، لابن الملقن، 110/29.

3 أخرجه الترمذي، باب: ما جاء في المعانقة والقبلة، رقم: 2732، 76/5. وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

4 الشذرات الشذية، للطيب المصري، 175.

5 مسند أحمد، حديث أبي ذر، رقم: 21476، 378/25.

6 ينظر: الشذرات الشذية، للطيب المصري، 175.

كفائي، أي فرض كفاية إذا كانوا جماعة، وإلا كان فرض عين، وقيل: إنه سنة عين، وقيل: سنة كفاية، والمشهور ما ذكرنا. كما أنه لا يجب تسميت العاطس إلا إذا حمد الله تعالى¹.

ثم بين أن المشمت يقول له: (يرحمك الله) بالإفراد لورود النص، ويرد العاطس بقوله: يهديكم الله ويصلح بالكم أو يغفر الله لنا ولكم أو يجمع بينهما وهو أولى².

ثم ذكر أنه إذا زاد العاطس على ثلاث مرّات فإن المشمت لا يزيد في تسميته على المرّة الثالثة وليقل له: (كأنك مذنوك، أي: مزكوم)، كما في الحديث الشريف عن مالك عن عبد الله ابن أبي بكر عن أبيه، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «إِنْ عَطَسَ فَشَمْتَهُ، ثُمَّ إِنْ عَطَسَ فَشَمْتَهُ، ثُمَّ إِنْ عَطَسَ فَشَمْتَهُ، ثُمَّ إِنْ عَطَسَ فَقُلْ إِنَّكَ مَذْنُوكٌ»³.

ثم بين أنه ينبغي الاختصار في الحمد على ما ورد وهو: (الحمد لله رب العالمين ولا يزيد عليه شيئاً). كما يطلب الإفراد في قول المشمت: (يرحمك الله، ولو كان عظيماً وذا مكانة⁴).

كما يطلب الجمع في الردّ بقولنا: (يهديكم الله ويصلح بالكم)، وينبغي للعاطس الجهر بالحمد إلا إذا كان في صلاة فيكون ذلك سرا.

ويندب للعاطس أن يغطي وجهه حال عطاسه ويخفض صوته به لما ورد عن أبي هريرة -رضي الله عنه-: «أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ إِذَا عَطَسَ غَطَّى وَجْهَهُ بِيَدِهِ أَوْ بِثَوْبِهِ وَغَضَّ بِهَا صَوْتَهُ»⁵.

1 الشذرات الشذية، للطيب المصري، ص 176. مخطوط آلة كاتبة. وفي الحديث عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: عَطَسَ عِنْدَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رَجُلَانِ فَشَمَّتْ أَحَدَهُمَا وَلَمْ يَشْمِتِ الْآخَرَ، فَقَالَ الَّذِي لَمْ يَشْمِتْهُ عَطَسَ فَلَانَ فَشَمْتَهُ وَعَطَسْتُ أَنَا فَلَمْ تَشْمِتْنِي. قَالَ: «إِنَّ هَذَا حَمْدُ اللَّهِ وَإِنَّكَ لَمْ تَحْمَدِ اللَّهَ». أخرجه مسلم باب: النبي عن الشحاء والتهاجر، رقم 5309، 267/14.

2 الشذرات الشذية، للطيب المصري، ص 176. مخطوط آلة كاتبة. ومن النصوص الواردة في ذلك: عن أبي أيوب الأنصاري -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «الْعَاطِسُ يَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَيَقُولُ الَّذِي يَشْمِتُهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، وَيَقُولُ لَهُ: يَهْدِيكُمْ اللَّهُ وَيُصَلِّحُ بِالْكُمْ». السنن الكبرى للنسائي، باب: ما يقول إذا عطس رقم: 9970، 90/9.

3 أخرجه مالك في الموطأ، باب: التسميت في العطاس، رقم 1769، 491/5.

4 الشذرات الشذية، للطيب المصري، ص 177. مخطوط آلة كاتبة.

5 أخرجه الترمذي، باب: ما جاء في خفض الصوت وتخفيف الوجه، رقم: 2745، 86/5. وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

وفي تسميت العاطس قال الشيخ أحمد البهلول:

وواجب كفاية تسميت من عطس إن حمد ربه علن
يرحمك الله وردّه ندب يهديكم الله وغفران طلب
ولا تزد على الثلاث إن يزد عطاسه إذ هو مضمونك¹ وجد

المطلب الثامن: تحريم الهجران، والتناجي.

تكلم الشيخ الطيب المصراي - رحمه الله - في هذا الباب عن تحريم الهجران والتناجي²،
تبعاً للناظم: أحمد البهلول الذي قال:

ولا يحل لامرئ أن يهجر
إلا إذا كان لأمر ديني
وبسلامه على من هجرا
فوق ثلاث لأخ مستكبرا
كالهجر للتأديب والتلين
يخرج من هجرانه مستكبرا³

علق الشيخ المصراي على أنه يحرم هجر المسلم لأخيه المسلم وهو عدم مكالمته والحديث معه
سواء كان قريبا له كوالديه وأولاده وإخوانه أو بعيدا عنه كجيرانه ومعارفه أكثر من ثلاثة
أيام بلياليها والسبب في الحرمة لما يترتب على القطيعة من الحقد والبغض الذي يكون سببا
في عدم المودة والمحبة التي يأمر بها الإسلام⁴.

وقد جاء الوعيد الشديد في هذا كما في الحديث الشريف: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: "تَفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْاِثْنِينَ وَيَوْمَ
الْخَمِيسِ فَيَغْفِرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءٌ فَيَقَالُ:
أَنْظِرُوا هَذِينَ حَتَّى يَصْطَلِحَا أَنْظِرُوا هَذِينَ حَتَّى يَصْطَلِحَا أَنْظِرُوا هَذِينَ حَتَّى يَصْطَلِحَا"⁵.

وقد بين الشيخ المصراي أن محل تحريم الهجران المذكور ما لم يكن لسبب ديني
ومشروع أو كان قصد التأديب. مثل: أن يؤدّب الزوج زوجته كما جاء في القرآن الكريم:

1 أي: المزكوم.

2 الشذرات الشذية، للطيب المصراي، ص 177. مخطوط آلة كاتبة.

3 الشذرات الشذية، للطيب المصراي، ص 177.

4 المرجع السابق.

5 أخرجه مسلم، باب: النهي عن الشحناء والتهاجر، رقم 4652، 429/12.

﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾¹ فيجوز ذلك²، كما يجوز للوالد أن يهجر ولده قصد تأديبه، والشيخ يجوز له أن يهجر تلميذه كذلك كما يجوز هجران أهل المعاصي المجاهرين بمعاصيهم³.

ثم بين الشارح تبعا للناظم أن البداءة بالسلام تخرج صاحبها من الهجران إذا نوى بها ذلك، وأن الهجران المحرم فوق ثلاث ليال، أما أقل من ذلك فلا شيء عليه؛ فعن أبي أيوب الأنصاري - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام⁴.

وذكر أيضا أن من الآداب الواجبة على المسلم أن يترك مخالطة أهل البدع والكبائر؛ لما يلحقه من الإثم بسكوته عليهم وموالاتهم؛ ولما يترتب عليه من افتتان الجهال بقولهم: إن فلانا يجلس معهم ويخالطهم وهم على ما هم عليه من القبائح ولا سيما إذا كان المخالط من أهل العلم والمعرفة ومن يقتدى به في ذلك⁵.

ومحل هجران أهل البدع والكبائر إذا كان لا يخاف من مكرمهم وظلمهم، وإلا فلا يهجرهم ويكتفي بالسلام عليهم إن أبعد عنه الخطر، وإلا خالطهم بقدر الحاجة⁶.

وتم ذكر الشيخ هنا تحريم التناجي، وهو أن يتناجى اثنان ويتساراً بحديث وكلام دون أن يشترك معهما ثالث في ذلك، وهذا إذا كانا يظنان أنه يتأذى من ذلك ويعتقد أن الحديث بينهما في شأنه وإذا لم يأذن لهما في ذلك وإلا جاز⁷. والسبب في منع التناجي وتحريمه؛ لما يسبب في إدخال الضيق والأذى النفسي على أخيهما الثالث؛ ولما ينشأ عنه من البغض والكراهية. ومثل الاثنان الجماعة إذا تناجوا وتركوا واحدا دون إذنه، أما إن أذن أو تركوا أكثر من واحد فإنه يجوز.

وقد حرم الله سبحانه وتعالى التناجي في القرآن الكريم فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى

1 من سورة النساء: 34.

2 الشذرات الشذية، للطيب المصراقي، ص 177.

3 المرجع السابق.

4 أخرجه مسلم، باب: النهي عن الشحناء والتهاجر، رقم 4652، 429/12.

5 الشذرات الشذية، للطيب المصراقي، ص 178.

6 المرجع السابق.

7 نفسه.

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ¹، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ صَاحِبِهِمَا فَإِنَّ ذَلِكَ يُحْزَنُ"².

وذكر أنّ مثل التناجي أن يتكلم اثنان بلغة لا يعرفها الثالث، وهذا قد يحصل، فيتكلم اثنان بلغة انجليزية أو فرنسية أو أمازيغية أو غيرها، والثالث لا يعرفها، فيؤدّي إلى حزن ثالثهما وتغير حاله وهذا لا يجوز، وهو من التناجي المحرّم³.

ثم انتقل للحديث عن الخلوة، وهو خلوة الرجل بامرأة أجنبية، أي: ليست من محارمه، وبين أنّه يجرم عليه ذلك؛ لأنّ الإنسان لا يأمن على نفسه الأمانة بالسوء من الوقوع في الزنا، والإنسان لا يأمن على نفسه من الشيطان ومكره، فجعل الشارع لذلك حداً، فحرم الخلوة بالأجنبية.

ثم قال الشيخ المصري -رحمه الله-: (وأمام هذا الاحتياط الشرعي فلا ينظر إلى العادات وما عليه كثير من الناس من التساهلات التي تؤدّي في كثير من الأحيان إلى العواقب الوخيمة؛ ذلك أنّ بعض الناس جرياً على عادة قومه وأهل بلده لا يرى بأساً ولا يتورّع أن يحتلّي بامرأة أخيه أو ابنة عمه أو ابنة خاله أو ابنة خالته أو امرأة جاره أو صديقه، وقد يحمل إحداهن في سيارته ويقطع بها المسافات في وحدة بينهما، وقد يدخل أحدهم بيت أخيه أو خاله أو عمه أو صديقه أو جاره فلا يجد فيه إلا امرأته وحدها فتدعوه إلى الجلوس فيجلس ويتناول الطعام والشراب ويتبادل الحديث معها في جلسة ودية كما يقولون، وهذا أمر مألوف بينهم مشهور في مجتمعهم ولا سيّما أهل البادية والقرى والقبائل، وسرى ذلك حتى في المدن الآن بموجب المدنية والحضارة المزيّفة، وكم كان مثل هذه العادات المخالفة للشرع من مآسي وعواقب وخيمة أورثت الفتن والقتل والعار والشنار والسمعة الفاسدة وسقوط الشرف والمروءة والقضاء على بعض البيوت والأسر والعائلات نتيجة عدم التقيد بتعاليم الإسلام والأخذ باحتياطاته وتوصياته الحكيمة التي تضمن السلامة والعزة والشرف والكرامة والأمن والاطمئنان للناس أجمعين لو كانوا يفقهون)⁴. ثم ذكر أنّه لا يجوز للرجل أن ينظر أو يلحظ إلى المرأة الأجنبية من غير محارمه

1 من سورة المجادلة: 9.

2 أخرجه مسلم، باب: تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث بغير إذنه، رقم 4054، 170/11.

3 الشذرات الشدية، للطيب المصري، ص 178.

4 الشذرات الشدية، للطيب المصري، ص 179.

عمدا وقصدا بعد النظرة الأولى التي لا تقصد عادة فإنها لا شيء فيها.

وخالف الشيخ الناظم في إطلاقه في حرمة النظر سواء كان ذلك لوجهها وكفيها أو الباقي من جسمها، وأنه ليس كذلك؛ بل النظر إلى الوجه والكفين يجوز لغير قصد اللذة، أمّا النظر إلى عورتها وهي ما عدا وجهها وكفيها فإنه يحرم مطلقا سواء كانت مخشّية الفتنة أم لا، ومن هنا أوجب الإسلام على المرأة ستر جميع بدنّها إلا وجهها وكفيها كما هو معلوم.

وعلق الشيخ أنّ مما عمّت به البلوى تساهل الناس من الجنسين في هذا الأمر، فتخرج بعض النساء إلى الأسواق سافرات، يلبسن الثياب الرقيقة أو الضيقة، عاريات الشعر.

الخاتمة والتوصيات:

من خلال ما تقدّم أخلص إلى النتائج والتوصيات الآتية:

- أ. عاش الشيخ الطيب المصري - رحمه الله - حياة حافلةً بالعلم وطلبه وتحصيله.
 - ب. نهلند الشيخ على مشايخ وعلماء كبار بداية من مدينة مصراته ثم زليتن وطرابلس.
 - ج. الشيخ كان معروفا بالتفاني والصبر والتواضع والجلوس مع العوام لحلّ مشاكلهم ولاستماع إليهم.
 - د. أسلوبه بديع وطريقته في الوعظ ومخاطبة الناس قلّ نظيرها، فهو يستطيع أن يخاطب الخواص والعوام في آن واحد وفق منهج سهل.
 - هـ. جمع الشيخ في هذا الشرح المسمى بالشذرات الشديدة، أهم الأخلاق والآداب الإسلامية التي ينبغي التنبه لها والحرص على الالتزام بها.
 - و. خلف الشيخ المصري - رحمه الله - مكتبة كبيرة تحوي كتبا قيّمة، أوصى أن توقف على زاوية أحمد زروق بمدينة مصراته وتمّ له ذلك.
- أمّا التوصيات: فأوصي نفسي وغيري من طلبة العلم بأن يحرصوا على الاعتناء بتراث الشيخ وأن يقوموا بتحقيق ما بقي منه، فهو من فروض الكفاية في حقنا.
- كما أوصي بطباعة ونشر ما تمّ تحقيقه من تراث الشيخ، وأن تقوم المكتبات العلمية ودور النشر بتبني هذه الفكرة؛ لأنّ فيها إبراز لعلماء المالكية في البلاد الليبية.

والله الموفق والمستعان، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

-القرآن الكريم.

-التنوير شرح الجامع الصغير، محمد بن إسماعيل الكحلاني ثم الصنعاني، المعروف بالأمر (ت: 1182هـ)، ت: د. محمد إسحاق محمد إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض، الطبعة: الأولى 1432هـ - 2011م.

-التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن، الشافعي المصري (المتوفى: 804هـ)، تحقيق: دار الفلاح، الناشر: دار النوادر، دمشق - سوريا، الطبعة: الأولى، 1429هـ - 2008م.

-الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، صحيح البخاري، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، 1422هـ.

-حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، الدسوقي المالكي (المتوفى: 1230هـ)، دار الفكر، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

-سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية فيصل عيسى البابي الحلبي.

-سنن أبي داود، دار الفكر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.

-سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية 1395هـ - 1975م.

-السنن الكبرى، النسائي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى: 1421هـ - 2001م. شرح مختصر خليل للخرشي، الخرشي المالكي (المتوفى: 1101هـ)، دار الفكر للطباعة - بيروت الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ

-صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

-مسند ابن أبي شيبة، (المتوفى: 235هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي وأحمد بن فريد المزيدي دار الوطن - الرياض، الطبعة: الأولى، 1997م.

- مسند أبي عوانة، أبو عوانة يعقوب بن إسحاق الإسفرائيني، المتوفى: 316 هـ، المحقق: أيمن بن عارف الدمشقي، دار المعرفة - بيروت، الطبعة: الأولى، 1998م.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي (المتوفى: 676هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثانية، 1392.
- موطأ الإمام مالك، تأليف: مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبغي، دار إحياء التراث العربي - مصر تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.